جامعة المنصورة
كليـة الآداب

جماليات المكان في سورة الكهف

إعـــداد

د. خالد فرحان إرحيّل البداينه

أستاذ مشارك – قسم اللغة العربية

جامعة الطفيلة التقنية –الأردن

د. عمر عبد المعطي عبدالوالي السعودي

أستاذ مشارك – قسم اللغة العربية

جامعة الطفيلة التقنية – الأردن

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد التاسع و الستون – أغسطس ٢٠٢١

جماليات المكان في سورة الكهف

د/خالد فرحان إرحيّل البداينه
أستاذ مشارك– قسم اللغة العربية
جامعة الطفيلة التقنية – الأردن

ملخص البحث

ينهض هذا البحث بدراسة جمالية المكان في سورة الكهف ، وتبيان دورها في بناء القصة ، فالتصوير الفني في القرآن يرتقي بالصورة التي يرسمها ، ويجعلها نابضة بالحياة عن طريق الحركة المتجددة لينتقل بالمتلقي إلى مكان الحدث المرتبط بالزمان ، فالكهف اسم السورة ومرتكزها ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى دلالة المكان (الكهف) ؛ تلك الدلالة التي تشي بالتحصن ، فكأن العنوان ضم في باطنه حقيقة السورة من الناحية الدلالية وأصبح لغزا تعمل قصص السورة على فكّه، وعندما يكون العنوان الكهف ، فإن دلالته مزدوجة ؛ فمن الناحية المادية كان المكان الذي لجأ إليه الفتية ، ومن الناحية المعنوية يعد الحصن من الفتن ، كما تركز على عوامل التغيير، فيتم الانسجام بين اسم السورة وقصة الفتية ، وكذلك في قصة صاحب الجنتين ، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين.

وفي هذا البحث كان التركيز منصبا على عنصر المكان في القصص القرآنية الواردة في سورة الكهف وما فيه من دلالات جمالية ، لقد تفاعلت الجماليات المكانية في القصص الأربعة التي ارتكزت عليها هذه السورة ، وأسهمت في حمل رؤيتها الدينية التي تكشف عن الفتن الأربعة التي يتعرض لها الإنسان في حياته وتعالجها بطريقة فريدة حملت في طياتها النصح والموعظة .

***الكلمات المفتاحية** : القصة القرآنية ، جماليات ، المكان ، الكهف ، البحر ، السفينة ، السد*

Abctract :

Aesthetics of Place in the Stories of surat alkahf (Cave Sura)

The current research paper investigates the aesthetics of place in the Holy Quran stories recounted in the Cave Sura. Place is a major aspect of that Sura which is named after a place (the cave). The sense of fortification the title suggests is a signifier the stories of the Sura seek to clarify. The word "cave" in the title has double significations: it is physically the place where the young men took refuge; spiritually it is a shelter from oppression and distress. The paper further discusses change agents and the harmony between the title of the Sura and the stories it includes. The paper primarily focuses on the element of place and its aesthetic value in the stories included in the Cave Sura. The aesthetics of the four stories the Sura recounts expresses its religious perspective which alludes to the four distresses man is facing during his lifetime. The Sura tackles those distresses using a didactic and advisory tone.

المقدمـــة :

إن التـذوق الجمـالي فـي النسـق القرآنـي يجعـل الـنفس ترتقـي بمشـاعرها وأفكارهـا إلـى قداسـة الرسـالة التـي تحملهـا تلـك القصـص ، وتهـدف دراسـة القصـص القرآنـي إلـى توضـيح البنـاء الجمـالي فـي القصـة التـي تتعلـق بالتقنيـة السردية مع الاحتفاظ بخصوصيتها التي تقوم علـى رؤيـة إسـلامية تتميـز عـن غيرهـا ، وقـد اشتملت سورة الكهف على أربع فتن يتعرض لها الإنسان في حياته ، وجاءت القصص الأربعة علـى نسـق واحـد يتعلـق بـالفتن ؛ إذ تعـالج كـل قصة فتنة ، وتقدم من خلالها النصح والموعظة وقـوارب النجـاة ، ودارت أحـداث تلـك القصـص على أماكن مختلفة ذات طابع جمالي ، وتجلت الجماليـة القرآنيـة فـي هـذه القصـص بأسـلوب قرآني رائع وبصورة فنية ، وبأسلوب أدبي فريد من حيث اللفظ والمعنى فقد لفتت القصة القرآنية أنظار الباحثين الذين رأوا فيها معينا لا ينضب من الجمال والجلال وحسن العرض .

تعـد دراسـة الـنص القرآنـي لبيـان جماليـات أسـلوبه مـن أشـرف المطالـب والعلـوم وأعلاهـا مرتبة ، وقد دفعني حبي لجماليات الأسلوب في سرديات القصص القرآني إلى دراسة جماليات المكان في سورة الكهف .

فجاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

التمهيد : وفيه سيكون الحديث منصبا على المكان من حيث مفهومه ودلالاته وجمالياته ، والقصة من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي.

وفي المبحث الأول : تتناول الدراسة تعدد الأماكن ودلالاتها في سورة الكهف إذ اشتملت على أربع قصص تعالج أربع فتن وتضمّنها قوارب نجاة ، وكان مرتكز الخطاب القرآني هو ذكر المكان ضمن الأحداث القرآنية ، ومن خلال الوقوف على المكان الصريح جاء اسم السورة (الكهف) مفتتحا ذا دلالة مكانية فهو مسرح الأحداث لقصة أصحاب الكهف ، وركزت على فاعلية المكان وحركيته في القصص الأربعة ، وكذلك الجنتين وما فيهما من جماليات مكانية ، والبحر والسفينة في قصة موسى والخضر ، والسد ومطلع الشمس ومكان غروبها في قصة ذي القرنين .

المبحث الثاني :

جمالية المكان في سورة الكهف في قصصها الأربعة :

لقد تشكل البناء السردي في القصص الأربعة التي اشتملت عليها السورة من تفاعل مكونات السرد الزمانية والمكانية وحركة الشخصيات ، وحالاتها النفسية يغلفها المكان بجمالياته ، وبصورة متكاملة ، فالخطاب القرآني تحدث عن فتن أربع ، وجاء بقصة تعالج كلّ فتنة ، ورسم ملامح النجاة من هذه الفتن في سياقات تعبيرية ذات دلالات جمالية شكّلها المكان الذي كان مفتتح السورة بدءا من اسمها وانتهاء ببناء السد على يد ذي القرنين ، وكان التغيير هو العنوان الأبرز في القصص كلّها ، فالفتية هربوا بدينهم إلى الكهف طلبا للنجاة وتغييرا للبيئة الفاسدة ، والتحول إلى بيئة الإيمان والهدى ، وكل القصص الأخرى ظهر فيها التغيير بصوة جلية سنتعرض له خلال دراسة جماليات المكان ، فالقرآن يعطي المكان أهمية عظيمة ، ومن خلال القصص القرآني الذي استحوذ على ربع القرآن الكريم ، فالمتدبر للقرآن يرى في صفحاته أنه قد اهتم بالناحية القصصية اهتماما كبيرا وأفرد لها مساحة واسعة ؛ فالقصة تستغرق قسطا كبيرا ، وجانبا عظيما من القرآن الكريم وذلك ؛ لأن القصة منذ القدم مهوى القلوب ، وبغية الأسماع ؛ فهي تستولي على مشاعر الإنسان وخياله.

وهذه السورة بدأت بالمكان الذي هو اسمها كما هو في سور أخرى: كالطور، والأحقاف ، والحجر والحجرات، لأن ورود المكان في قصص القرآن له غاية قصوى فضلًا عن أهميته كمكوّن سرديّ في القصة الفنية التي ترمي إلى أداء غرض فنيّ طليق، فالقصة القرآنية غرضها دينيّ وفي خضوعها لهذا الغرض تمتاز بخصائص فنية ، تجعلها توازي البناء الهندسي للقصة الفنية الحديثة ، وهذا ما يجعل للمكان دلالات أقوى ، ثم إن العلاقات التي تربط بين الأمكنة تكشف عن خاصية الحبك القائمة بين الأمكنة والتي تشكل غرْزة من غُرز الحبكة القصصية حيث لا يمكن إسقاطها

من النسيج الفني ، ذلك أنها تخدم غاية القصة، وتضفي جمالا على النص.

أمّا المنهج الذي اتبعته فهو المنهج الفني الجمالي الذي فرضته طبيعة البحث ، ويسعى هذا المنهج لإبراز مواطن الجمال في النص القرآني ، والكشف عن التآلف والانسجام بين عناصر النص في القصص الأربع ؛ ليصبح النص أكثر حضورا في النفس وأكثر اندماجا في الحسن.

فالقصص القرآني قصص متدفق يفيض علينا في كل مرة بقدر وافٍ من الدلالات والجماليات ، والأسرار الإعجازية . وفي الخاتمة أودعت نتائج البحث .

المبحث الأول :

إن الدارس للنص القرآني يجد فيه تنوعًا في أسلوب الخطاب الديني ففيه تصوير فني ، وقصص قرآني يحمل في طياته أسلوبا ، وعظيا ، وإرشاديا بأساليب مختلفة مرة بالترغيب ، وأخرى بالترهيب مما يؤثر في نفسية المتلقين على اختلاف درجات وعيهم وفكرهم .

فالقصة القرآنية هيمنت على ربع القرآن الكريم تقريبا ؛ لأن القصة أسلوب يشّد القارئ، ويلفت انتباهه إلى أمور تجنّبه الفتن التي تؤثر في حياته وآخرته ، فالقصة تدور أحداثها في زمان سابق لكن المتلقي لها يتأثر بها ويأخذ منها العبرة باختياره ، وبقدر فهمه لأحداث القصة .

تنفرد القصة القرآنية بخصائص تميزها عن القصة الأدبية وفيها من الإعجاز البياني في لفظها ونظمها وعناصرها وطريقة سردها ، فكل مشهد في القصص الأربعة تعالج فتنة دارت أحداثها على مسرح مكاني فيه من الجماليات والدلالات ما يجعل المتلقي مشدودًا تجاه الأحداث .

إن سورة الكهف بدءًا من اسمها تحمل دلالات مكانية رائعة وما زاد روعة هذه السورة اعتمادها على أربع قصص ، كل قصة تعالج فتنة من الفتن التي يتعرض لها الإنسان في معترك الحياة .

أهمية المكان في القصة القرآنية :

أهمل بعض الدارسين عنصر المكان وهمشوه في القصص القرآني من وجهات نظرهم "أن القصة القرآنية لا يعنيها ذكر المكان إلا ما جعلت منه جملة الأحداث الهامة مسرحا لها كمصدر في قصة يوسف مع امرأة العزيز ، ومع فرعون الملك ، وفي غياهب السجن وعلى عرش الحكم " [1]

وهذا الكلام مجانب للصواب ، فالمكان يلعب دورًا بارزًا في أحداث القصة ، ففي القرآن الكريم سور مرتكزها الرئيس هو المكان، مثل : سورة الحجر ، والحجرات ، والأحقاف ، والطور ، والكهف، كل هذه السور العظيمة لها أهمية في حياة المسلم ، فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نقرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أو ليلتها ؛ لأنها تذكر الإنسان

---

١) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ، نقرة التهامي ، الشركة التونسية ، تونس ، ط١ ،١٩٧١ ، ص٩٧ [1]

بـالفتن التـي يتعـرض لهـا ، ولأنهـا تحمـل فـي طياتها عوامل التغيير والتطور لدى الإنسان المسلم فهو يعرِض نفسة على هذه السورة في كل أسبوع مرة ؛ ليرى مدى تأثير هذه الفتن على نفسه ، ويحاول جاهدًا أن يخرج من بيئة هذه الفتن ، كما خرج أولئك الفتية من بيئة الكفر إلى بيئة الإيمان ؛ لأن البيئة تلعب دورًا بارزًا في معطيات الحياة .

ويلحظ الباحثان في بعض الدراسات تقليلا من أهمية عنصر المكان في القصة القرآنية ، فالدكتور سليمان الطراونة في دراسته النصية في القصة القرآنية يرى أن المكان غير معيّن فيقول: " المكان هو بيئة الحدث المادية في أي قصة ، لكنّه في قصص القرآن يغفل أحيانا كثيرة إذ هو أقل أهمية حتى من الزمان ، فالقصص القرآني لا يعيّن المكان غالبا، ولا يذكره إلا إذا كان له دور خاص يؤثر في تبلور الحدث ، أو مضمونه ، فآدم وحوّاء كانا في الجنة لكن أين ؟ ثم هبطا منها لكن إلى أين؟"[2]

يلعب المكان دورا بارزًا في بناء القصص القرآنية وغالبا ما يرتبط في العنصر الزماني (إن المكان هو أحد اشكال الوجود الذي يفترض وجود الزمان الذي لا يكتمل معناه ، ولا يتحقق فعله إلا من خلال ظهور آثاره في الإنسان والطبيعة ، ولكي يظهر الزمان آثاره لا يمكن أن يجري في الفراغ السديمي فلا بد له من مكان يجري فيه ، ولهذا يعد المكان العنصر الهام الحيوي للزمان)[3].

لقد كان للمكان في القصص القرآني حضور قويّ فاعل ، لما له من قوة إيحائية ، وتأثيرية ، في نفس المتلقي ؛ تجعله قادرًا على الاختيار بعد أن يستوعب الفكرة التي تحمل في ثناياها العبرة والعظة الدينية .

مفهوم القصة القرآني :

القصة في اللغة تحمل معاني كثيرة منها تتبع الأثر قصَّ آثره : أي تتبعه وافتضاه من خلال آثاره وشواهده "[4]ومنها "الجملة من الكلام أو الحديث أي بمعنى الحكاية عن خبر حدث في زمن مضى "[5]

والقصَّ فعل القاص إذا قصَّ القصص، ويقال في رأسه قصة يعني: الجملة من الكلام ونحوه قول الله عز وجل: " نحن نقص عليك أحسن القصص"[6] أي نبين لك أحسن البيان ، والقصة : الخبر ، وقصَّ علي خبره يقصه قصًّا وقصصًا أورده ، والقصص الخبر المقصوص ، والقِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب وقد وردت مادة قصص في القرآن الكريم في مواضع عدة حيث جاءت بمعنى تتبع الأثر ،

---

٢) دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، د. سليمان الطراونة ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٢، ص ٢٠ [2]

٣) البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله، مرشد أحمد ، المؤسسة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص١٢٧ [3]

٤) لسان العرب ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٣٠٠هـ ،ج ٧ ، ص٧٣ مادة قصص [4]

٥) المصدر السابق ، ص ٧٤ [5]

٦) سورة القصص ، الآية ٥ [6]

قال تعالى: " **قالت لأخته قُصّيه**"[7] وقوله تعالى:" **قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** "[8]

بمعنى رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصّان أثر سيرهما بمعنى يتتبعانه وقوله :" **نحن نقص عليك أحسن القصص** " [9] وقوله تعالى في سورة الكهف موضوع الدراسة: " **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** "[10] فالمتأمل في الآيات التي وردت فيها كلمة القصص يجد أن معاني هذه الكلمة تدور حول تتبع الأثر ، وبيان الأخبار والإخبار عن حوادث مضت وانتهت ، وكل هذه الاشتقاقات لكلمة القصص الواردة في القرآن تدور حول تلك المعاني التي تكشف الأثر، وتنقّب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها ، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها ، وإلفاتهم إليها ليكون لهم منها عبرة وموعظة وهكذا كان القصص القرآني"[11].

ويرى سيد قطب أن الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية واضح إذ يقول :" القصة في القرآن ليست عملًا فنيًا مستقلًا في موضوعه وطريقة عرضه ، وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة ، التي ترمي إلى أداة غرض فني طليق ، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية "[12]

فالقصص القرآني لا خيال فيه كما هو في القصة الأدبية ، فهو يقوم على الواقعية التي تثير المتلقي ، وتشوقه إلى ما ينفعه في دنياه وآخرته ، وهو سر من أسرار القرآن الكريم ، ومعجزة من معجزاته البيانية وفيها نوع من الإثارة والتشويق ، وسورة الكهف يتمثل فيها هذا الأسلوب القرآني بسحره وتشويقه .

أهمية القصة القرآنية :

تعد القصة القرآنية من أنجح الطرق التي اتبعها القرآن الكريم في تأديب النفوس ، وسياسة الجماعات والمحاورات النابضة التي أثبتها ، هي معالم خالدة لضبط الحقيقة وتوليد العبرة فيها.

وبذلك كان القصص الحسن من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته ، ومزج تعاليمه بالقلوب، " فالقرآن الكريم يحكي أنباء الأولين ، يحولها هذه القصص إلى دواء سائل عام ، ثم يسكب من قطراته على نفوس المعاندين ، يبغي شفاءها دون النظر إلى تراخي القرون واختلاف المحاطين "[13]

---

٧) سورة القصص ، الآية ١١ [7]

٨) سورة الكهف ، الآية ٦٤ [8]

٩) [9] سورة يوسف ، الآية ٣

١٠)سورة الكهف ، الآية ١٣ [10]

١١) القصص القرآني في منظومه و مفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، ص ٤٨ [11]

١٢) التصوير الفني في القرآن الكريم ،سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٤ ، ١٩٩٣ ، ص١٤٣ [12]

١٣)نظرات في القرآن ، محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٦،٢٠٠٥ ، ص ٩٦. [13]

يشترك الكهف بأحداث القصة وأبعادها ففيه اتصلت السماء بالأرض فدخل نور الشمس إلى الكهف وفي الكهف تلاقت الحياة الدنيا بالآخرة وفيه تلاقت الأزمنة البعيدة والقريبة والمستقبلية ، وأوحى بحركة مشابهة في المستقبل ، فالإسلام خرج من غار حراء وهو ما يقابل كهف الفتية وبعده لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور من أذى كفار قريش ، فالسورة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ظلت كهفا عاصما وسلاحا ضد فتنة المسيح الدجال إذا تدبرها المسلم وحفظ أول عشر آيات منها .

جمالية المكان في قصة أصحاب الكهف :

وقبل أن ندلف إلى تحليل جماليات المكان في سورة الكهف في قصصها الأربعة إذ لا بدّ من القول: إن القرآن الكريم تميز بأسلوب العرض للقصة ، فجاءت الصياغة محكمة وظهرت في القصص جماليات مكانية دلّت على إعجاز القرآن الكريم إذ بدأت السورة بالحديث عن أولئك الفتية الذين هربوا بدينهم إلى ذاك الكهف ؛ حتى لا يفتنهم ذلك الملك الظالم ، فبدأت قصة أهل الكهف بملخّص لما حدث مع أولئك الفتية كما في قول الله تعالى: **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** "،[14] ثم بعد ذلك نهضت قصة أهل الكهف بتفصيل الأحداث بدقة ، فجاءت التفاصيل مبهرة وشائقة ،مما يجعل المتلقي يعيش هذه المشاهد كأنها رأي العين ، ويربط بينها وبين ما يواجهه من فتن تؤرقه ، قال تعالى: " **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** "[15]فيأخذ الإنسان من القصة العبرة والعظة.

يلعب الكهف دورا مهما في تنشيط الحركة في القصة إذ صار الكهف عَلَما ، ومن هنا أخذ المكان (الكهف) منزلة هامة في الأهمية الحركية ، فهو تجويف مظلم بارد وموحش ، ومعزول ومجهول ، وغير قابل للعيش فيه ، يثير فينا رعشة الخوف الإنساني ؛ لذلك نجد الفتية يطلبون من الله تهيئته للعيش فيه ، قال تعالى:"**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**"[16] كما يطلبون من الله الرشد والسداد في اختيار المكان . "**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا** "[17]

المبحث الثاني :

إن الدارس للنص القرآني يجد فيه تنوعًا في أسلوب الخطاب الديني ففيه تصوير فني ، وقصص قرآني يحمل في طياته أسلوبا وعظيا وإرشاديا بأساليب مختلفة مرة بالترغيب وأخرى بالترهيب مما يؤثر في نفسية المتلقين على اختلاف درجات وعيهم وفكرهم ، فالقصة القرآنية هيمنت على ربع القرآن الكريم تقريبا لأن

١٤)سورة الكهف ، الآية ١٣ [14]

١٥)سورة الكهف ، الآية ٩ [15]

١٦)سورة الكهف ، الآية ١٠ [16]

١٧)سورة الكهف ، الآية ١٦ [17]

القصة أسلوب يشّد القارئ ، ويلفت انتباهه إلى أمور تجنبه الفتن التي تؤثر في حياته وآخرته.

فالقصة تدور أحداثها في زمان سابق ، لكن المتلقي لها يتأثر بها ويأخذ منها العبرة باختياره ، وبقدر فهمه لأحداث القصة ، وتنفرد القصة القرآنية بخصائص تميزها عن القصة الأدبية وفيها إعجاز بياني في لفظها ، ونظمها ، وعناصرها ، وطريقة سردها ، فكل مشهد في القصص الأربعة تعالج فتنة دارت أحداثها على مسرح مكاني فيه من الجماليات والدلالات ما يجعل المتلقي مشدودًا إلى هذه الأحداث .

إن سورة الكهف بدءًا من اسمها تحمل دلالات مكانية رائعة ، وما زاد روعة هذه السورة اعتمادها على أربع قصص كل قصة تعالج فتنة من الفتن التي يتعرض لها الإنسان في مسرح الحياة وتضع للإنسان قوارب النجاة المناسبة لتلك الفتن .

دلالات المكان في القصة القرآنية :

في القرآن الكريم ثمة سور كان مرتكزها الرئيس هو المكان وحملت أسماء أماكن مدن (الحجر وسبا) وجبال (الطور) ومساكن وكهوف (الحجرات والكهف) وذكر سموات وجنان وحدائق ذات بهجة .

لقد كان للمكان في القصص القرآني حضور قوي فاعل ، لما له من قوة إيحائية ، وتأثيرية في نفس المتلقي ؛ لتجعله قادرًا على الاختيار ، بعد أن يستوعب الفكرة التي تحمل في ثناياها العبرة والعظة الدينية .

فحضور المكان يخضع للغرض الديني الذي يصلح لكل زمان ومكان ، لذلك يحدث إغفال للمكان ، والاتجاه القرآني المفضل هو تسمية العَلم والمكان والشيء بصفته المميزة التي يمكن أن تطلق على عموم الأعلام فالأمكنة والأشياء التي تتماثل في السمات مثل قوله تعالى :" **إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا" التوبة**[18]وفتية الكهف ، وذو القرنين ، وفتى موسى ومعلمه العبد الصالح ، أمّا إذا كان الغرض الديني يستدعي وجود المكان ؛ فيأتي المكان ليضفي على الحدث جانبًا من العبرة والنصيحة كما هو في قصص سورة الكهف التي عالجت أخطر فتنة وهي فتنة الدين ، فالكهف هو ملجأ الفتية وبؤرة المكان الذي هو مطلع السورة واسمها. إن المكان في القصة القرآنية يحمل دلالات جمالية فهو ضرورة في السرد القصصي ؛ إذا يؤخر الحدث ويضئ أبعاده الدينية ، إذ جعل الفتية من هذا الكهف ملاذًا روحيًا ، وهيأ الله هذا المكان الموحش المظلم ؛ ليكون عنوان هداية ونورا ينوّر حياتهم ويخرجهم من تلك البيئة الفاسدة الكافرة ، وهذا ما يؤكد ارتباط المكان في القصص القرآني بالغرض الديني، فالإيمان يحتاج إلى بيئة مناسبة تحتضن أهله كما أن الكفر له بيئته كذلك.

فالقصص القرآني لا خيال فيه كما هو في القصة الأدبية فهو يقوم على الواقعية التي

١٨)سورة التوبة ، الآية ٤٠ [18]

تثير المتلقي ، وتشوقه إلى ما ينفعه في دنياه وآخرته ، وهو سرّ من أسرار القرآن الكريم ومعجزة من معجزاته البيانية وفيها إثارة وتشويق، وسورة الكهف يتمثل فيها هذا الأسلوب القرآني بسحره وتشويقه ، وقبل أن ندلف إلى تحليل جماليات المكان في سورة الكهف في قصصها الأربعة لا بدّ من القول إن القرآن الكريم تميز بأسلوب العرض للقصة ، فجاءت الصياغة محكمة ، وظهرت في القصص جماليات مكانية دلّت على إعجاز القرآن الكريم إذ بدأت السورة بالحديث عن أولئك الفتيه الذين هربوا بدينهم إلى ذاك الكهف حتى لا يفتنهم

ذلك الملك الظالم فبدأت قصة أصحاب الكهف بملخص لما حدث مع أولئك الفتية كما في قول الله تعالى: "**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**" [19]ثم بعد ذلك نهضت قصة أهل الكهف بتفصيل الأحداث بدقة ، فجاءت التفاصيل مبهرة وشائقة ،مما يجعل المتلقي يعيش هذه المشاهد كأنها رأي العين ، ويربط بينها وبين ما يواجهه من فتن تؤرقه في حياته فيأخذ من القصة العبرة والعظة .

من أهم البنيات السردية التي تكوّن القصص ، البناء المكاني حيث يلعب المكان دورًا هامًا في بناء القصة وفي تركيبها ، فهو الإطار الذي يحوي الأحداث ، وتتحرك فيه الشخصيات ، وبالتالي يصبح له فاعلية في هذه الأحداث وهذه الشخصيات ، ويشحن المكان بدلالات اكتسبها من خلال الأحداث التي تدوّر مسرحه وعلاقته بالإنسان، فالمكان وحده لا يكتسب أهمية إلا إذا عبَّر عن أبعاد النماذج الإنسانية النفسية والاجتماعية والدينية ، وهذا ما يؤكد أهمية توظيف المكان في القصص القرآني، ويجعل القصة القرآنية تحمل دلالات جمالية ، فجاءت قصص سورة الكهف الأربع ، جاءت في منظومة تربطها صلة وثيقة ، تدور حول الابتلاء ، والافتتان بزينة الدنيا وموقف الناس منها.

فهي قصص أربع ، كلّ قصة تعالج فتنة يتعرض لها الإنسان ، وتُبرز كل قصة للإنسان طريق النجاة التي توصله إلى برّ الأمان ، فأصحاب الكهف فتنتهم أخطر فتنة وأعظم مصيبة ألا وهي فتنة الدين ، فكان الكهف هو قارب النجاة ، إذ أوى الفتية إلى الكهف ، هاربين بدينهم ؛ كي لا يفتنهم ذلك الملك الظالم ، فالبيئة الدينية ضرورة لكي ينجو الإنسان بدينه، والبيئات مختلفة ، فهناك بيئة للمجون ، وأخرى للزهد والتدين ، فأبو نواس على سبيل المثال كان يحفظ القرآن ، ولكنَّ أمَّه دفعها العوز إلى وضعه عند أبان اللاحقي في محلّ تجاري يبيع فيه مستلزمات النساء ، مما جعله ينحرف باتجاه بيئة المجون والخلاعة ، وقصة صاحب الجنتين تمثل فتنة المال والأهل والعشيرة والولد ، وقصة ذي القرنين تمثل فتنة القوة والسلطة والجاه على مرّ العصور، وتبرز طريق النجاة فيها ، وقصة الخَضِر مع موسى

١٩)سورة الكهف ، الآية ٣ [19]

عليه السلام تمثل فتنة العلم إذ ادّعى موسى عليه السلام أنه يعلم كل شيء ،فأراد الله أن يشعره بأن هناك من هو أعلم منه وأن على الإنسان أن يتواضع والتواضع هو طريق النجاة.

إن سبب ذكر بعض الأمكنة في القصص القرآني ليس لأجل تأكيد حقيقة القصة ، وإنما يرجع ذكرها إلى الغرض الديني التي سيقت من أجله ، والعبرة التي ترمى إليها ، فالأماكن في سورة الكهف ،محددة المعالم " لأنه من العسير أن نتصور القرآن غير مثبت لأماكن جرت فيها بعض قصصه ، حيث يكون ذكر هذه الأماكن ملمّا ومساعدًا العقل البشري على التمثيل" [20]

جمالية المكان في قصة أصحاب الكهف :

حشد القرآن الكريم اللغة في تصوير مكان الحدث ؛ ليلفت انتباه المتلقي ؛ لأن المكان يلعب دورا محوريا في القصة ، فالسرد بدأ من الكهف وانتهى به لذا صور الكهف بدقة بالغة من حيث الظواهر الطبيعية التي حوله قال تعالى: " **وتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا** "[21]

يبلور المكان في بنائه الفني لما يناسب الغرض الديني فهو في قصة أصحاب الكهف يكشف لنا عن العديد من الأمور الجمالية التي تشد خيال المتلقي وتثيره[22]" **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**[23]

هنا اقترن الزمان بالمكان (الكهف) الذي دلّهم الله عليه ؛ لينشر فيه من رحمته ، وتتجسد فيه الحركة التصويرية في السرد القرآني من تصوير جمالي لحركة الشمس وهي تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وتقلبهم في نومهم حتى لا تفسد أجسادهم .

وهذا الوصف الإعجازي يخدم الغرض الديني المتمثل في الكشف عن قدرة الله عز وجل في تسيير أمور الكون " **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** " [24]

إن للمكان في القصة دورا في تأكيد حقيقة البعث إذ رأى أهل المدينة حقيقة البعث ممثلة بهؤلاء الفتية الذين ناموا مئات السنين والنوم موتة صغرى على مستوى الليل فكيف بهؤلاء الذين رقدوا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا .

---

٢٠) البنية السردية في القصص القرآني ، محمد طول ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٩١ ص ٤٣ – ٥١ [20]

٢١) سورة الكهف ، آية ١٧ [21]

٢٢) التعبير القصصي في سورة الكهف ، عبد الحكيم الشبرمي، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ،٢٠٠٥ ، ص ١٣ [22]

٢٣) سورة الكهف ، الآية ١١ [23]

٢٤) سورة الزمر ، الآية ٦٧ [24]

إن القصة القرآنية في تفاعلها مع عناصرها الزمانية والمكانية "ظلت صارمة في قصديتها وفي اقتصادها الأدائي ، فهي ترجع في كيانها الفني لبُعدي الزمان والمكان بالقدر الذي يستلزمه تشكيل الحدث والوصول به إلى مغزاه التربوي الاعتباري" [25]فالمكان له دلالات جمالية فنية ؛إذ إنّ له وظيفة دلالية جمالية " فالمكان ليس مجرد إطار للأحداث وإنما هو إحدى العناصر الحية الفاعلة ، إذ يحتل أحيانًا الصدارة في القصة ؛ لينسج جزءًا هامًا من الشخصية المحورية في السرد الحكائي "[26]

يعد الكهف ظاهريًا مكانًا موحشًا ، فظلامه يخيف الإنسان الداخل فيه ، فهو مكان معادٍ للإنسان فقد يكون فيه حيوان مفترس، أو أفاعي، لكنه كان آمنًا للفتية بفضل الله ، ومكان عصمة هؤلاء من فتنة الدين

إن قصة أصحاب الكهف تتدرج فيها متواليات الحدث وترتبط الأمكنة بعلاقات بنائية مترابطة ، فالمدينة صاخبة ، تعج بالحياة ، في حين نجد الكهف يخيم عليه الظلام والسكون، فلكل مكان وظيفته وطبيعته وموقعه داخل القصة القرآنية ، فالقصة تمثل تغيرًا في حياة الفتية بعد أن كانوا في المدينة يعيشون حياتهم المعتادة ، ويمارسون طقوسهم الدينية في سرّية تامة ، تحدق بهم الأخطار ، فالملك الظالم لو يعلم بتدينهم لقتلهم لذا راحوا يبحثون عن مكان آمن ، هربًا من ظلم الملك ، فكان الكهف هو وجهتهم رغم إنه مخيف مظلم لكن الله هداهم وكافأهم على عبادتهم له ، فالكهف يمثل محطة انعطاف في حياة الفتية.

إن النسق المكاني في القصة بني على ثنائيات ضدية كان لها دور في عمق الدلالة الدينية ، فالكهف مظلم ولكن صار مكانا آمنًا تدخله الشمس من كوة في سقف الكهف بفضل رعاية الله لهم .

صوّرت قصة أصحاب الكهف المكان بدقة (الكهف ، الوصيد ، الكوة ، مدخل الكهف) فهو كهف يخدم الغرض الديني المقصود من القصة حيث إن القصة القرآنية تستجلب القارئ من زاوية المكان (الكهف) لأن الكهف كان حصنًا حصينًا لأصحابه للنجاة بدينهم ولذلك ذكر السياق القرآني الكهف الذي كان سببا في نجاة أصحاب الكهف من الفتنة ،وجاءت قصته للتعليم والاعتبار والإرشاد ؛ لأن القصة يمكنها أن تتكرر في المستقبل ، وهذا هو السرّ من إخفاء مكان الكهف أو التغافل عنه ؛ لأن ذلك لا يسهم في خدمة الغرض الديني المقصود من إعادة ذكر القصة ، لقد ارتبطت الكهوف والجبال التي تحتضنها في الثقافة الإنسانية بعدد من الأحداث الفلسفية والدينية والأسطورية ، فالجبل في ثقافتنا العربية

---

٢٥)لخطاب القرآني – مقاربة توظيفية لجمالية السرد الإعجازي ، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط٣ ١٩٩٨ ، ص ١٠٤.
(25)

٢٦)جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، د. أحمد طالب ،دار الغرب ط ١ ، د ت ، ص ٢٣
(26)

الإسلامية ، له حضور واضح ففي القصص القرآني ما يجعل الجبل محورها الأساسي ، فالأنبياء تربطهم علاقة وطيدة بالجبال وما فيها من كهوف ؛ لأنها تشكل الخلوة للأنبياء مع ربهم عز وجل، ومناجاته.

فإبراهيم عليه السلام له جبل عرفات والصفا والمروة ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم له غار حراء كان يتعبد فيه ويخلو بفكره متفكرًا بهذا الكون وخالقه وكذلك جبل أحد حين وقف عليه النبي وقال :" اثبت أحد إنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان "[27] وقوله :" أحد جبل يحبنا ونحبه" وكذلك موسى عليه السلام وعلاقته بطور سيناء الذي أقسم به الله عزّ وجل لما له من أهمية دينية وما له من قداسة فالأنبياء قصدوا الجبال للعبادة والتنسك والخلوة وتلقي الوحي ، فكان الجبل سببا في تفريج همهم وكربهم ،ففي الجبل والغار نزلت أولى آيات الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي غار ثور مكث النبي ليالي وبعده اتجه صوب المدينة المنورة مهاجرا بدينه ، ونجا من المتربصين له ولصاحبه أبي بكر، فكان الكهف عامل نجاة هيأه الله عز وجل لحمايتهما والفتية الذين هربوا بدينهم من ذاك الملك الظالم ومن المجتمع الغارق في الماديات التجأوا إلى كهف خارج المدينة بعيدًا عن أنظار الناس هروبًا بدينهم فزادهم الله هدى لأنهم حرصوا على إيمانهم .

إن تحليل المكان والوقوف على ما فيه من جماليات يعلمنا أن نقبض على الدلالة الجمالية للمكان فجاءت القصة الأولى في سورة الكهف ؛ لتصف لنا ما حدث لأولئك الفتية في كهفهم ، إذ جعلهم الله عبرة لمن أراد أن يعتبر؛ وليرشد الناس لأهمية بيئة الإيمان، فكان اللجوء إلى الكهف هو قارب النجاة .

وتصدرت قصة أصحاب الكهف المشهد في هذه السورة العظيمة إذا حملت السورة اسمها من ذاك المكان ، الكهف ، فجاء الحديث عن أولئك الفتية مجملًا في مطلع السورة ثم بدأ بالتفصيل في تلك البؤرة المكانية ألا وهي الكهف ، فالقص القرآني قصّ من نوع خاص فهو ليس فنًا ، يقدم لغاية جمالية تهدف إلى الاستماع ، بل هي قصص صاغها الله عز وجل؛ لتكون مثلًا للناس وبهذا تكون الموعظة .

حين نتوقف عند جمالية المكان لابدّ من وصفه فالوصف "من أهم الأساليب في تقديم المكان إذ يعمل على تشكيل المكان وتقديمه ومنحه حضورًا وعمقًا دلاليًا" [28]

إن جمالية المكان تتجلى في الكشف عن الموصوف وتفصيلاته ،ويرتبط بالمكان ويتسع دلالته بما ترتبط به من سياقات نفسية واجتماعية ودينية ، فالمكان في القرآن الكريم

---

٢٧)فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني(٧٧٢-٨٨٢) المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ط١، ج٧ ، ص٤٦

(27)

٢٨) ، المكان في النص الروائي ، د إبراهيم جنداري ، مجلة أفق الموصل ، العدد ٢ ، لسنة ١٩٩٨ . ص ٦

(28)

يمتـاز بدقـة الوصـف حتـى يشـعر القـارئ بكـل تفاصـيله ، وتتضـح الصـورة الجماليـة حـين يتكامـل الزمـان مـع المكـان ؛ لأن المكـان هـو المسرح الـذي تجري عليـه الأحداث ، وتتحرك عليـه الشخصـيات ، ثـم يـأتي دور اللغـة فـي وصف المكان بلغة أدبية .

ففي قصة الكهف " **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا** "[29] قد صـور القرآن الكـريم المظهـر الخـارجي للكهـف بحركـة الشـمس يمينًـا وشـمالًا ، وهـي جماليـة استمدتها القصـة من جماليـة الحركـة والسكون وهذا جانب مهم من جوانب القص القرآني، أما الجانب الفني للقص القرآني ،فهو مختلف تمامًا عن غيره ولا عجب من ذلك ، فهو تنزيل من رب العـالمين " فـالقص القرآنـي يتماشـى مـع أحدث ما وصل إليه الفن القصصي"[30]

بـدأت السورة بملخص كامل لوقائعها وهذا الملخـص لـم يشـبع الرغبـة فـي تفاصـيل هـذه القصة بدليل قوله تعالى " **نحن نقص عليك نبأهم بالحق** "[31]فالمتلقي يتلهف شوقًا لمعرفة سبب ذهاب الفتية إلى الكهف وما حدث لهم بعد ذلك . فقصة أصحاب الكهف بدأت بداية مشوقة ، مثيرة للتفكير لدى المتلقي ، وهذا شأن القرآن في قصصه الشائقة ، وقد تجلت أهمية المكان الإبداعية في سورة الكهف إذ إنه مكان مغلق ، ولا بدّ أن نسلط الضوء على المكان بغيـة تحليـل أبعـاده الجماليـة ؛ لأن " تحليـل الفضـاء الروائـي هو الذي سيسمح لنا بالقبض على الدلالة الشاملة للعمل في كليته "[32]

تقدم قصـة أصـحاب الكهف فكرة الثبات علـى الحـق وإن خالفـت الأكثريـة ، والتشـبث بالمبادئ والقيم وهذا ما حدث لأولئك الفتية ، لقد ضم المكان " الكهف " حدثًا غريبًا ومعجزة عظيمـة فهيـأ الله لهـم المكـان ومرافقـه وأبطـل خصائص الكهف التي يألفها الناس فهو مكان مظلـم ، مسكون بـالجنّ فـي معتقدات الكثيـرين يـأوي إليـه حيوانـات مفترسـة وحيّـات عظيمـة تسكنه ، وظـلام دامـس يخـيم عليـه لـيلًا نهـارًا فالكهف يحمل دلالات كثيرة فالظلام هو شبيه الكفر والإلحاد ، وقد تغيرت خصائصه ليصبح مكان رحمة ، لكن الله عز وجل في قوله تعالى " **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا** [33] فتبـدلت خصـائص المكـان "الكهف " فأصـبح الكهـف آمنًـا بعـد مـا كان مخيفًا وأصبح مضيئًا بعد أن كان مظلما ، فالشـمس تميـل عـن الكهـف شـروقًا وغروبًـا " فكأنهـا بهـذا الوصـف (تـزاور) التـي تعطـي

---

٢٩)سورة الكهف ، الآية ١٧ [29]

٣٠)السرد القصصي في القرآن الكريم ، ثروة أباظة ، دار نهضة مصر الطبع والنشر ، القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٩ ص٧ [30]

٣١)سورة الكهف ، الآية ١٣ [31]

٣٢)بنيـة الشـكل الروائـي ، حسـن بحـراوي ، المركـز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٣٣ [32]

٣٣)سورة الكهف ، الآية١٦ [33]

معنى حركة الشمس ، وتصور مدلولها بوقوعها في موضعها ، فهي حركة متماوجة كأنها متعمدة في ميلانها عند شروقها "[34] وكلبهم في فناء الكهف يحرسهم ، لقد تناسب المكان مع الحدث بعد أن هيأه الله لأولئك الفتية ، فالكهف يخفي ما بداخله ، وجاءت إرادة الله لتجعلهم ينامون ، سنين طويلة ، فجاء نومهم أعظم كهف يعتزلون فيه عن أي شيء في الكون ، فغدا نومهم كهفًا آخر يضاف إلى كهفهم الحقيقي الذين يعيشون داخله.

الكهف في القصة القرآنية رمز للخلوة الدينية التي يلجأ إليها الإنسان فهو الملجأ للتفكر بالخلق والخالق كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلو في غار حراء في جبل فوق مكة . ارتبط الكهف بالفتية ، وخلّد ذكرهم ، وانقذهم من الكفر والإلحاد، فأكتسب أهل الكهف جمالية خاصة ارتبطت بهؤلاء الفتية فهو ملاذهم وهو الذي شكل لهم الحماية الربانية فجاءت كلمة " ينشر لكم " فضيق الكهف قابل للسعة ؛ لأن العناية الإلهية تدخلت ومما زاد في جمالية المكان هو ارتباطها في العلاقة الزمانية فقصة أصحاب الكهف كانت معجزة كبرى ، فالفتية ناموا في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين ، فأصبح الزمان مرتبطًا ارتباطا وثيقا بالمكان ، وشكل إعجازًا ربانيًا يتلى إلى قيام الساعة . لقد تغيرت معالم الكهف عما كانت عليه ، وأصبح يشكل معجزة لا تخطر على قلب بشر واكتسب المكان بما تضمنه من أحداث دارت على أرضه إعجازًا وتفردًا وقداسة أضفت عليه صورة جمالية مختلفة عن صورة الكهف التي في أذهان الناس ، من حيث ظلامه، وما فيه من أشياء مخيفة تبعث على الرهبة قبل تهيئته من قبل الرحمن عزّ وجل ، فالكهف حمى الفتية من الفتنة ، في حين نجد بعض الأماكن تثير الفتنة كصاحب الجنتين التي سنأتي للحديث عنها .

" لقد اجتمعت في الكهف خصائص جعلته مأوى مناسبًا لكل من يلتجئ إليه ناشدًا الاختباء والهرب مما يلاحقه ، متأملًا منه توفير الحماية والأمن فهو مكان بعيد عن متناول الناس ، مظلم لا يُرى ما بداخله يلفّه الغموض" [35]" لقد وُظف الكهف في هذا القصة ؛ ليسهم في إبراز رؤية القصة التي تقوم على أساس التمسك بالمبادئ والقيم.

رأينا كيف أن السورة كلها بدأت بالمكان من اسمها وحتى آخر قصة فيها ، فالتعبير القرآني يتناول القصص بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فنتخيل القصة حادثًا يقع ، ومشهدًا يجري لا قصة تروى ولا حادثًا قد مضى "

٣٤) [34] الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن ، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١ ص ١٠١

٣٥) الزمن في القصة القرآنية ، عزة الحلبي ، رسالة دكتوراه ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٠ ص ١٥ [35]

[36]نلمح في سياق السورة أن القرآن تعامل مع المكان (الكهف)على أنه بيت له فجوة تولد إحساسا بالطمأنينة وله وصيد أي فناء ، والفجوة داخلية تدور في فلك ضيق من الحركة ، ولكن توحي بالأمان وفيها موضع رقدتهم " وفي خارج الكهف يوجد الوصيد حيث الكلب يحرسهم "" **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** "[37]لقد تم تصوير المظهر الخارجي للكهف بحركة الشمس المتماوجة في تصوير بديع يمينا وشمالا " لقد نقل الخطاب القرآني حركة الشمس المتماوجة بشكل يعجز المسرح الحديث بكل ما فيه من طرق الاضاءة عن تصويرها" [38] .

إن من جماليات المكان في الكهف هو نموه بعد حركة العناية الإلهية ؛ ليكون مهيأً لاستقبالهم ولخضوعهم لهذا الامتحان " **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** ، إن رسم القرآن للكهف وتصوير مظاهره الطبيعية قد عمق الرؤية وزاد في تقريب صورته فهو يقع في أعلى الجبل ، وهذا المظهر له وقعه النفسي والجمالي في إثارة مجالات الحس والذهن عبر الحركة والسكون في ذاك الكهف ، فالصعود إليه محتاجا إلى جهد حتى يصل القمة وفي القمة قد تحدث المفاجآت ولا يدري الإنسان ماذا سيواجه فقد يكون وراء الأكمة ما وراءها ، وهذا ما يثير همة المتلقي للنص القرآني إلى الفهم الصحيح للحياة التي توصل إلى الآخرة . ومن جماليات المكان تغير صورة الكهف فقد تحول خوفه أمنا ، وظلامه نورا يستمد من الإيمان الذي يعمر الصدور ، فالكهف تعلوه كوة في سقفه تدخل من خلالها خيوط الشمس ؛ لأنها مصدر دفء وحياة ، والفتية نائمون " **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**"[39] ؛ ليحرسهم حراسة مادية في حين أن الله قد حرسهم معنويا فهم في ذمة الله ، وعينه ترقبهم وعنايته تشملهم برحمته فحينما ننظر إلى القصص القرآني المعجز في الزاوية المكانية نجد أن القرآن لا يعني بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها إلا إذا كان لها وضع خاص فيه من القداسة والعبرة ما يلفت نظر المتلقي ، وهذا هو الغرض الديني من قصة أصحاب الكهف والتي صيغت بأسلوب فني رائع قائم على التصوير ، والوصف ، واختيار أدق الألفاظ ؛ لتعبر عن الهدف الأساس وهو العبرة والعظة . كما أن القصة اشتملت على ذكر المدينة التي هي

٣٦)جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، د. أحمد طالب ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٦ [36]

٣٧)سورة الكهف ، الآية ١٧ [37]

٣٨)الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن ، ص ١٠١ [38]

٣٩)سورة الكهف ، الآية ١٨ [39]

مكان الخوف والضياع فهي مكان يُخشى منه ويتطلب الحذر الشديد رغم إنها مكان الرزق ، والقرية رمز الطهر والصفاء والنقاء أحيانا .

قصة صاحب الجنتين :

تأتي قصة صاحب الجنتين؛ لتدور أحداثها في مكان غير معلوم حتى تكون العبرة صالحة لكل زمان ومكان وأخفيت أسماء الفاعلين ، فالعبرة هي أنها صالحة لكل من غرّته الدنيا ومتاعها الزائل ، فمن التراكيب الوصفية للمكان في قصة صاحب الجنتين الموحية(وحففناهما) " **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا**" [40] فهي أجمل ما يوصف به المكان في الطبيعة في جنات الأرض" يرى سيد قطب" أن قوة العرض والإيحاء سمة بارزة من سمات التصوير في القصة ، ولونٌ ظاهر من الألوان فما يكاد القارئ يتلو نصوص قصة من القصص القرآنية حتى ترتسم أمام عينيه مشاهد القصة وحوادثها ومناظرها المعروضة عرضًا فنيًا متناسقًا قويًا يذهب بخياله مع هذه المشاهد مستمتعًا متخيلًا متأملًا متذوقًا ، فأبطال القصة تدب فيهم الحياة ، ويتحركون أمام القارئ فتظهر علامات الحياة على ملامحهم ،وتحركاتهم وتعابيرهم ونفوسهم ، فيتألمون ،وينامون، ويستيقظون ، ويتحدثون ، ويتجادلون كأنهم أمام القارئ على خشبة المسرح[41] قسمها سيد قطب إلى مشاهد عدة بحيث تعرض القصة على شكل مشاهدة حية متحركة تظهر فيها قيم العرض والإحياء"[42]

في هذه القصة يبرز تصوير العواطف والانفعالات كما نرى في القصة رسمًا لشخصية صاحب الجنتين شخصية الكافر البطر المتكبر ، ومقابلها شخصية المؤمن الفقير المتوكل على الله، إذ تحول صاحب الجنتين بقصور تفكيره وبخله حين رأى جنته الى الجحود وكفر النعمة ، وللمتلقي أن يتخيل جمال هذا البستان بما فيه من ثمرات جعلته يوصف بالجنة ، وتظهر جمالية المكان في هذه القصة كما رسمها القرآن بريشة الإبداع إنهما جنتان مثمرتان من أعناب معروشة وغير معروشة بألوانها الزاهية وقطوفها الدانية بنظام هندسي دقيق من صنع الباري عزّ وجل ، وبين هذه الصفوف المنتظمة ، يوجد زرع مخضر يزيد المكان جمالا وبهاءً وجداول الماء الرقراقة التي تنبع من داخل البستان بما يفيد ديمومة الماء كما يفهم من قول الله عزّ وجل :" **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا**

٤٠)سورة الكهف ، الآية ٣٢ [40]

٤١)نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار الشهاب ، باتنة في الجزائر (د . ط) ١٩٨٨ ، ص٢٣٣ [41]

٤٢)التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ،القاهرة ، ط١٦ ، ص ١٤٣ [42]

وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا"[43] وجداول الماء بينها تترقرق وخرير الماء فيها يخلب العقول ، إنه مشهد الطبيعة التي صنعها الباري عز وجل ، فهي مشاهد تكاد تنطق " [44]

إن كلمة (وحففناهما بنخل) توحي بجمالية رائعة تضفي على المكان طابعا هندسيا متوازيا شكّله هذا السياج الشجري دائما الخضرة حول أشجار مثمرة ، إنه مكانٌ كل شيء فيه محسوب بدقة تكونت معالمه الشجرية وما يرافقها من ثمار، فالبستان تبدو ملامح خريطته الهندسية في الخيال وهندسته ارتبطت بحب صاحب الجنتين لهذا المكان وعلاقته الحميمة به ، وارتباطه النفسي بجنته والجنتان ليستا حديقة تنتظم فيها الأشجار في صفوف منتظمة وإنما هي جمالية المكان التي ارتبط فيها صاحب الجنتين مستعرضا متباهيا بجنته ، تستحوذ عليه مشاعر المتعة ، وتثير مخيلته متعة النظر وتجعله يسرح بخياله متأملا هذه الجمالية حتى أنه أخذه الغرور، وظن أنها لن تبيد ولم يقل ما شاء الله حتى أصابها بالعين .

للمتلقي أن يتخيل جمالية المكان ، فالبستان يخبئه سياج من نخيل وهذا ما أوحته كلمة (فحففناهما بنخل) وفيه أشجار منوعة الألوان والثمار يغلب عليه جانب الخضرة والألوان الزاهية". في قصة صاحب الجنتين ذكرت القصة المكان ووصفته بأنه جنتان فيهما من الجمال الشيء الذي يمتع النفس وينشرح له الصدر ، ثم صورت لنا القصة جزاء الذين عاقبهم الله فأصبح المكان خرابا ، وهذا لخدمة الغرض الديني "[45]

إن جمالية المكان تتجلى في وصف القرآن لهاتين الجنتين من حيث إنهما جنتا أعناب محفوفتان بالنخيل بما في شجرة النخيل من جمال، فهي دائمة الخضرة وباسقة وطلعها نضيد وألوانها منوعة بين الأخضر والأحمر والأصفر ، وجذعها بشكله الهندسي ، وثمرها مختلف ألوانه ، وفي وسط الجنتين ثمار منوعة من الفواكه كالموز مثلا ؛ لأنه يحتاج إلى غمر بالمياه كما هو النخيل ، وهذا التنوع بفضل مصدر المياه الدائم وهذا ما توحي به لفظة وفجرنا خلالهما نَهَرا وهو منظر جميل يخلب العقل قال تعالى: " **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا**[46]

إن صاحب الجنتين أخذه جمال المنظر وبهر عقله ، يخالجه الطمع والبخل ، ومما زاد فرحه تنوع الأشجار والثمار بشكلها ولونها وعطرها، إنه احتفاء بالتنوع الذي صبغ المكان بألوان زاهية .

أثار المكان بهجة وبهاءً، وأوحت كلمة(نهَرا) بأن الجنتين أقيمتا حول نبع من

٤٣)سورة الكهف ، الآيتان ٣٢– ٣٣ (43)

٤٤)جماليات المكان في القرآن الكريم ،إيمان محمد الشاويش ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١١ ، ص٥٥ (44)

٤٥)المصدر السابق ، ص ٥٦ (45)

٤٦)سورة الكهف ، الآية ،٣٢ (46)

الماء ؛ لأن وجود الماء يضاعف جمالية المكان حين تتعرج السواقي داخل البستان ، والشمس تنعكس عن صفحات الماء ، ومما زاد المكان جمالا منظر الزراعات العشبية الخضراء والحبوب التي تلوّن المكان بخضرة داكنة ، فالجنتان جامعتان للأقوات والفواكه ، وللحسن والترتيب ، والماء المتدفق هو سر الحياة وعامل النمو ، إنهما جنتان مثمرتان محفوفتان بالنخل بنظام هندسي دقيق ، إنه مشهد بديع للطبيعة التي تكاد تنطق من جمالها .

القصة القرآنية بنيت بناءً محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف لجمالها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه يرافقهما من كبر وغرور "[47]

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا" [48]

لقد تغير المكان وأحيط بثمره " قال تعالى: وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا [49]

جمالية المكان في قصة موسى والخضر:

من الاماكن التي وردت في قصة موسى عليه السلام والخضر البحر ، والسفينة ، مجمع البحرين ، والصخرة التي استراحوا عندها ،فهذه الامـاكن دلالات جماليـة سـنتوقف عنـدها بالشرح والتحليل .

البحر :

مكان فيه سحر وجمال وعظمة ، فهو ذو اتساع هائل ، ويعد مصدرا للرزق ، كما أنه يعبر عن الصفاء والامتداد ، وفي زرقة استمدها من السماء تبعث على الراحة والطمأنينة وتعمل على التسلية عن الأحزان والهموم التي تخيم على الإنسان ، وفي هذه الرحلة البحرية تتغير الدلالة ؛ ليصبح البحر مكانا مخيفا من جرّاء خرق السفينة والقرصنة فيه.

إن جمالية المكان (البحر) مرتبطة بالنور المنبعث منه وقت الأصيل عند الغروب ، فجاءت جماليات المكان(البحر) متناسقة مع تلك الرحلة العلمية ، فالعلم بحر محيط واسع الامتداد وكذلك العلم فهو بحر عميق وهو نور وهداية ،وهو شديد الزرقة التي تنتج عن أعماقه السحيقة ،فهناك غرض ديني يركز على العلم وأهميته في الحياة والآخرة ، وقلنا إن سورة الكهف بقصصها الأربع تركز على التغيير، فالبحر متقلب الأحوال فهو تارة هادى وتارة أخرى شديد الموج ، ورغم إن جمالية البحر لم تدم طويلا حيث تحولت الدلالات إلى الخوف والهلع جرّاء القرصنة التي تحدث فيه ثم بعد الفرج والارتياح النفسي يحدث التبدل في الدلالات فتصبح جمالية المك يرمز البحر للحياة بهدوء أمواجها وتلاطمها ، فالحياة بين الهدوء والاضطراب والأمن والخوف وبالتالي

---

٤٧) القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، ص ٤٨ [47]

٤٨) سورة الكهف ، الآية ٣٤ [48]

٤٩) سورة الكهف ، الآية٤٢ [49]

فإن البحر يثير في النفس الشعور بالجمال ؛لأن كلّ ما فيه جميل ، ففضاءات البحر واسعة وهو ملجا المتعبين ، الطالبين الهدوء والسكينة ، وفي الوقت نفسه تعرض القصة القرآنية للجانب الآخر من البحر وهو الإهلاك والتدمير والخوف ، وحتى تكتمل الصورة الجمالية للبحر حين يلتقي مع السماء وتنعكس زرقته على البحر التي تريح النفس والعيون ، فالحديث عن البحر يشمل الحديث عن السفينة التي تمخر في البحر، ويركبها أبطال القصص في القرآن.

السفينة :

وُظفت السفينة لغرض ديني ، إذ فوق سطحها المتحرك تتجاوب الإرادات وتصبح الروح الجماعية طريقًا للدخول إلى النفس فهي وعاء فكري مبحر ، وعلى ظهرها مساكين ضعاف يتعاطف من في قلبه رقة لذلك جاءت حروف الآيات متناسقة مع الغرض ومع صفة أصحابها ، فالمكان يضيء ما حوله من أحوال ، فالبحر عميق وظلماته مخيفة ، وكذلك الظلم الذي سيحل في البحر سيكون وخيما وكذلك نجد المكان (السفينة) قارب النجاة ، ومصدر عيش لأولئك المساكين ، فأضاء لنا المكان بما فيه من جمالية بساطة هذه السفينة و فائدتها ، ومن نتائج الظلم أنه خرقها كي لا يفيد منها الملك الظالم .

الصخرة:

الصخرة جزء من المكان المحيط بالبحر يجلس عليها المتعب ، والمتأمل للبحر من حيث أمواجه وظلامه وهي علامة من علامات الاهتداء إلى فكرة أو تأمل في قدرة لخالق ، فوجود الصخرة على شاطئ البحر يضفي جمالا على المكان قال تعالى" **قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**"[56] فهي علامة من علامات الاهتداء على شاطىء البحر ، وهي محطة يستريح المرء عليها او بجانبها حين يكون متعبا ، فالصخرة مقيمة ما أقام عسيب تلطمها الأمواج حين يغضب البحر ، وهي ثابتة تقاوم ، وهذا يذكرنا في ثبات الفتية على دينهم رغم عدم قناعة الآخرين يدفعهم الى ذلك الثبات دينهم وما منحهم الله من الهدى .

الجدار : فهو مكان ظهر في قصة الخضر وفيه من التشخيص والتجسيم ما يبعث على جمالية المكان حين بدا على الجدار من علامات الميل، والانقضاض والاضطراب ، وقرب الوقوع أراد القرآن التعبير عن هذه الحالة مشهديا ، وذلك بلفظة واحدة تعبر عن هذا المشهد بما يحويه من صور كثيرة(يريد أن ينقض

" **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ** "[57] فالجدار أشبه بإنسان يريد أن ينقض فجاءت الاستعارة لتشخص الجدار وتؤنسنه ، شاءت إرادة الله أن تجعل للجدار الأصم إرادة الانقضاض بدون أي سبب ، بل منحه الحيوية

٥٠)سورة الكهف ، الآية ٦٣ [56]

٥١)سورة الكهف ، الآية ٧٧ [57]

اللازمة للحركة إيذانا بموعد إخراج ما تحته من ثروة ،وهذه الصورة زادت المشهد جمالا

مجمع البحرين : من الأمكنة التي ظهرت في قصة موسى والخضر وهو مكان التقاء موسى بالعبد الصالح **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ** حقبا" [58] وهو المكان الذي يربط بين

المتوسط والبحر الأحمر وهو مكان التقائهما فهذ الحديث عن البحرين فيه وصف تعبيري يوحي أنه مجمع البحرين

جمالية المكان في قصة ذي القرنين:

دارت أحداث القصة في ثلاثة أمكنة أساسية، وهي :

: مغرب الشمس، أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية الغرب . **المكان الأول**

المكان الثاني: مطلع الشمس، وجد ذو القرنين الناس هناك بغير أبنية تقيهم من الحرِّ، ودعاهم إلى الله

تعالى، وبيَّن لهم كيف يصنعون أكواخًا تمنع عنهم حرَّ الشمس وتقيهم أشعتها الساخنة

المكان الثالث : بين السدَّين، مكان مختلف في تحديده جغرافيًّا، ففي رحلة ذي القرنين هذه إلى بين السدين، نجده يمرُّ بمجموعة من الأمكنة: (بين السدين، الأرض، السدّ، الردم، بين الصدفين)، فالمكان هنا يحضر بقوة، وهذا الحضور يسهم في بناء الأحداث إذ أصبح المكان بطلًا موازيًا للشخصية الرئيسة، بل تدرَّج في بناء القصة؛ ليصبح في لحظات محددة البطل كما في هذه الرحلة؛ (رحلة بين السدين)

يبدو أن الرحلة هي طوق النجاة وعامل التغيير في حياة أشخاص القصص القرآني من الدعاة .

يأتي سرد قصة ذي القرنين متضمنا دلالات في أغلب مفاصله بأشياء الوجود المادية حاملا إشارات تضيء فضاء المكان بالمعلومات الغائبة يظل المكان مكونا جماليا في قصص هذه السورة فقصة ذي القرنين بطلها ذو القرنين في بناء السد" ولعل الشي اللافت للنظر في قصة ذي القرنين هو السد العميق المنيع المحكم الصناعة من النحاس والحديد وهذا ما يجعلها تتفق مع الغرض الديني لهذه القصة

فالسد العميق ، مخفي الكيان ، حافل بالأسرار والعجائب .

إن عنصر المكان في القصة لا يكتسب أهمية إلا إذا عبّر عن أبعاد النماذج الإنسانية النفسية والاجتماعية ، ونلحظ أن القرآن قد عبر عن مكان ما بين السدين في وصف تعبيري رائع يوشي بعظمة المكان وضخامة الإنجاز [59]"**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا**" [60]وفي هذه القصة تصوير رائع للشمس وهي تضرب وراء الأفق في صورة غروب الشمس التي

٥٢)سورة الكهف ، الآية ٦٠ [58]

٥٣)جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، د. أحمد طالب ، ص ٢٣ [59]

٥٤)الكهف ، الآية ٩٣ [60]

تحولت الى حمراء داكنة على صفحة البحر تسحب اشعتها لتترك وراءها العتمة وهي صورة جمالية تدعو الإنسان إلى تأمل ما فيها من سحر وجاذبية " [61]

لقد وظفت هذه القصص المكان في سياقاته الدلالية والتعبيرية والجمالية حتى غدا نابضا بالحياة

فالشمس تبدو وكأنها تغرب في طين أسود بسبب زرقة مياه البحر، فهذا المكان أهله لا يكادون يفقهون شيئا، فهم أقوام بدائية ليس لهم من الحضارة شيء، لا معرفة ولا بناء مادي أبعد من الحياة الأولية؛ يعيشون على الطبيعة كما خلقهم الله؛ فلم تكن لهم بيوت تأويهم وتسترهم من حرارة الشمس ، أو برد الطبيعة، فهم من العجز بمكان، والمسافة بين هؤلاء القوم وأولئك الذين قبلهم أيضا لم تكن مسافة بعيدة فهي مسيرة ليلة واحدة، فوصلهم مع طلوع الشمس، وأن أمر هؤلاء لم يكن من الصعوبة في شيء، حيث تركهم ووصل إلى قوم آخرين، فضاؤهم لا يبعد عن هؤلاء في شيء إلا أنهم ابتلوا بقوم جبارين مفسدين في الأرض، وإنهم يمتلكون بعض المال الذي عرضوه على ذي القرنين، لكي يبني لهم سدا يقف بوجه يأجوج ومأجوج، وهنا نلحظ اكتظاظ المكان بالأشياء المادية إلى حدّ بناء سد من زبر الحديد والقِطْر، الذي منع المفسدين من اجتياز أو فتح ثقب فيه؛ فالسرد في استخدم ذو القرنين وسيلة هندسية مميزة لبناء السّد ، فقام أولا بجمع قطع الحديد ووضعها في الفتحة حتى تساوى الركام مع قمتي الجبلين. ثم أوقد النار على الحديد، وسكب عليه نحاسا مذابا ؛ ليلتحم وتشتد صلابته ، فسدّت الفجوة، وانقطع الطريق على يأجوج ومأجوج، فلم يتمكنوا من هدم السّد ، ولا تسوّره ، وأمن القوم الضعفاء من شرّهم ، وفي هذه الرحلة قام ببناء الشخصية الفردية (ذي القرنين)، والجماعية، بما قدم من أحداث وعلل وإشارات ، جعلت فضاء الرحلة هذا كتلة صلبة متماسكة، وكذلك بنى فضاء المكان والأحداث إلى حد الغنى، في بانوراما قصصية لم تتجاوز أربع عشرة آية.

وعمومًا فقصة ذي القرنين قصة لعبد مؤمن صالح، منحه الله عز وجل المُلكَ والتمكينَ في الأرض، وأراد الله سبحانه أن يحقِّقَ على يديه العدل والإيمان، وذلك من خلال الرحلات العجائبية الثلاث التي قام به

بعد أن درسنا جمالية المكان في بناء القصص الأربعة التي وردت في سورة الكهف يرد المكان في السرد القرآني تبعًا للغاية الدينية وتشكل تلك الأمكنة محطات هامة في مسار الحياة بالنسبة للشخصيات الواردة في القصص . ظهر في قصص هذه السورة تلاحم مكاني ربط غرض القصص الأربعة بخيط دلالي واحد

---

٥٥)حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، الفضاء الزمان الشخصية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط٥ ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٣. [61]

هو الفتن الأربعة وورود المكان في القصة القرآنية له بعدان : بعد فنيّ وبعد دينيّ.

" إن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد بل إنه يجعل الجمال الفني أداء مقصورة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس ، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني في حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال" [63]

" القصة في القرآن الكريم إبداع في العرض ، وجمال في التنسيق وقوة في الأداء ، وهذا ما جعلها بعيدة على الخيال أو شيء من التلفيق والاختراع "[64]إن عرض القصة في القرآن يسير في اتجاهات منها

١) تبدأ القصة بملخص ثم تأتي بالتفصيلات بعد ذلك ومثال ذلك قصة أصحاب الكهف

٢) تنوع طريقة المفاجأة فيها كتمان سر المفاجأة ، كما حدث مع الموسى والخضر فقد يكون ما تحمله القصص من أفكار هامة ما يجمل معها التجريد ؛ لإلقاء درس في الكون الفسيح الرحب الذي هو جماع الامكنة "[65].

رأينا كيف أن منهج القرآن في عرض المكان في القصص القرآني ينماز بالبناء المحكم الذي يدفع المتلقي إلى تذوق الجمال والإحساس به ، ودفعه إلى الاستمتاع بالمظاهر الكونية التي تصور الجمال والإبداع ، فجاء ذكر المكان في القصص القرآني؛ فذكر السموات والأرض والجنان والحدائق ذات البهجة ،

فلخص المشهد بقوله تعالى : " **أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ءَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** " [66]فالقصص القرآني في هذه

الخاتمة

وقف الباحثان في هذه الدراسة على عنصر هام من عناصر القصة القرآنية ، وهو المكان وأبعاده الجمالية ، فالقصة القرآنية ليست عملا فنيا مجردا مقصودا لذاته ، ولكنها لون رفيع متميز من ألوان البيان القرآني ، لقد ورد المكان في السرد القرآني تبعا للغاية الدينية ، وشكلت تلك الأمكنة محطات هامة في مسار الحياة بالنسبة للشخصيات الواردة في قصص سورة الكهف، وظهر في قصص السورة تلاحم مكاني ربط غرض القصص بخيط دلالي واحد هو الفتن التي يتعرض لها الإنسان في حياته ، وأبرزت القصص أهمية التغيير فمن يقرأ هذه السورة كل أسبوع كما أمرنا النبي صلى الله عليه

---

٥٦) التصوير الفني في القران ، سيد قطب ، ص ١١٧ [63]

٥٧) المصدر السابق ، ص ١١٨ [64]

٥٨) البنية السردية في القصص القرآني ، محمد طول ،ص٤٣ [65]

i. ورة النمل ، الآية ٦٠ [66]

وسلم يجب أن تحدث فيه تغييراً في حياته ، وتبثّ فيه إشعاعا نحو النجاح ، والتغيير ، والتغلب على الصعاب .

ونجمل نتائج البحث فيما يأتي:

أولا: إن جماليات المكان تتشكل من عوامل نفسية ،وفكرية ،واجتماعية .

ثانيا: إن مجيء الأماكن مبهمة دون ذكر أسمائها ؛ ليعطي جمالية أبعد عمقا ، ويترك القرآن خيال المتلقي يتدبر تفاصيلها ، ومظاهرها الجمالية ، لقد تشكلت في سورة الكهف أربع قصص تنتظم في سياق واحد هو زينة الدنيا ففي كل القصص تشير إلى أن ما على الأرض زينة لها ولا بد أن تنتهي وتزول .

ثالثا : جاءت القصص الواردة في السورة تحمل في ثناياها العبرة والعظة

رابعا : المكان ليس عنصرا زائدا في القصة بل يؤدي دوره بوصفه مكانا لوقوع الأحداث

خامسا : نظرت الدراسة إلى المكان من ناحية جمالية وحاولت إظهار جماليات المكان

سادسا : تعددت الأماكن في سورة الكهف ، ففيها الكهف وهو مرتكز السورة ، والبحر والسفينة ، والجنتان ، وما فيهما من أعناب ونخيل وفواكه ، ونهر وكذلك السد ، ومطلع الشمس ومغربها .

سابعا: وظف القصص القرآني في سورة الكهف المكان لخدمة الغرض الديني مستخدما دلالاته الجمالية لتؤثر في نفسية المتلقي.

ثامنا : اكتسبت الأمكنة في القصص الأربع بما تضمنتها من أحداث، إعجازا وقداسة .

تاسعاً : كان للمكان تأثير على الشخصيات كما في قصة صاحب الجنتين ، وقصة موسى عليه السلام مع الخضر .

التوصيات :

القصة القرآنية بيئة خصبة للدراسات الفنية والجمالية وتحتاج إلى مزيد من الدراسات .

وفي الختام نرجو الله أن نكون قد وفقنا في هذه الدراسة .

المصادر والمراجع :

١- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن، مؤسسة شباب الجامعة، مصر ،١٩٨١.

٢- البنية السردية في القصص القرآني ، محمد طول ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٩١.

٣- البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله، مرشد أحمد ، المؤسسة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٥ .

٤- بنية الشكل الروائي ، الفضاء الزمان الشخصية ، حسن بحراوي المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ، ط٥ ، ٢٠٠٠.

٥- التصوير الفني في القرآن الكريم ،سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٤ ، ١٩٩٣.

٦- جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، د. أحمد طالب ، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر ط١، ٢٠٠٥.
٧- الخطاب القرآني – مقاربة توظيفية لجمالية السرد الإعجازي ، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط٣ ، ١٩٩٨
٨- دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، د. سليمان الطراونة ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٢.
٩- فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٢-٨٨٢) المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ط١ .
١٠- القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان بيروت .
١١- السرد القصصي في القرآن الكريم ، ثروة أباظة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، ط١ ، سنه
١٢- سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ، نقرة التهامي ، الشركة التونسية ، تونس ، ط١ ، ١٩٧١
١٣- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٠٠هـ ، مادة قصص.
١٤- نظرات في القرآن ، محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ،٢٠٠٥.
١٥- نظرية التصوير الفني عن سيد قطب ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار الشهاب ، باتنة في الجزائر (د . ط) ١٩٨٨ .

الرسائل الجامعية ، والدوريات :

١- جماليات المكان في القرآن الكريم ،إيمان محمد الشاويش ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية
٢- الزمن في القصة القرآنية ، عزة الحلبي ، رسالة دكتوراه ، جامعة دمشق ،٢٠٠٠
٣- المكان في النص الروائي ، الدكتور إبراهيم جنداري ، مجلة أفق الموصل، العدد٢ ، ١٩٩٨